آراء وافكار

موازنة بين كلمتين(١)

(مذمّر) و (سماوة)

حضرة الفاضل رئيس انشاء مجلة الطب العربي :

قلتم في الجزء الاول الصادر في هذه السنة من مجلتكم تعليقاً على كلمة (مذمر) ان العلامة الاب انستاس الكرملي هو الذي وضع هذه الكلمة لتقوم مقام كلمة (buste) الافرنسية التي يراد بها الصورة النصفية وان «المغربي» وضع كلمة (سماوة) للدلالة على ذلك المعنى .

وكنتم قبل هذا التعليق سألتموني لماذا لم ارتض كلمة (مذمر) وعدلت عنها الى (سماوة) مع ان (مذمر) تفيد معنى (buste) كل الافادة . هكذا قلتم وهاانا أملي رأيي عليكم :

اول من أشار بوضع كلمة (سماوة) للصورة النصفية هو الشيخ مكي الخضر التونسي . وقد نشر ذلك في مجلة (الزهراء) . فلما اطلع على قوله الاب انستاس ذكر في مجلة (لغة العرب) ما قاله الشيخ مكي ثم عقبه بان كلمة (سماوة) غير موافقة للكلمة الافرنسية وان كلمة (مذمر) اصلح منها للاستعمال .

ولما قرأت قولهما راجعت كلمة (المذمر) وتأملت في معناها وطرائق استعمالها فلم اجدها تفضل كلمة (سماوة) لامن جهة دقة المعنى ومطابقته للمراد من كلمة (buste) ولا من جهة رشاقة اللفظ وعذوبته . ولذا عولت على اختيار كلمة (السماوة) فذكرتها في جملة (الكلمات الجديدة) التي أشير على الكتاب والمحررين باستعمالها في كتاباتهم وأنشر هذه (الكلمات الجديدة) في جريدة (الفباء) . وقد قلت عند الكلام على (سماوة) مانصه :

« استحسن بعض الفضلاء ان نستعمل كلمة (سمامة) للصورة الكاملة : ففي كتب

---

(١) ننقل المقالات الثلاث الآتية عن مجلة المعهد الطبي العربي التي تصدر بدمشق وهي منشورة في أعدادها (٣ و٤ و٥ مجلد ٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغـة ان (السمامة) تطلق على شخص الرجل بتمامه اذ يقال (فلان بهيّ السمامة · ظاهر الوسامة) كما نقول بهي الطلعة · ولا نريد الا شخصه كله · اماالصورة النصفية فنستعمل لها كلمة (سماوة) بالواو : ففي كتاب الامالي لابي علي القالي (جزء ١ ص٢٥) انه يقال لأعلى شخص الانسان (السماوة) · وفي القاموس وشرحه : (سماوة كل شيء شخصه العالي) ·

هذا ماقلته استناداً الى نصوص علماء اللغة · وعبارتهم واضحة جلية تشف عن المعنى الذي نريده بكلمة (buste) كما يشف البلور الصافي عما اشتمل عليه ·

اما عبارات علماء اللغة في تفسير كلمة (المذمر) فلا تشف عن المعنى الذي نريده بكلمة (buste) الا بتكلف: ففي القاموس وشرحه ان(المذمر) كمعظم القفا· وقيل(المذمر) اسم لعظمين في اصل القفا · وهذان العظمان كما يسميان (المذمر) يسميان ايضاً (الذفرى) وقيل (المذمر) هوالكاهل · وقد جمع الأصمعي بين هذه المعاني في تفسير (المذمر) فقال : (المذمر) الكاهل والعنق وماحوله الى(الذفرى)·و(الذفرى) كما هي العظمان في اصل القفا او العظم خلف الاذن ·

وانما سمي هذا المكان من القفا (مذمراً) بفتح الميم المشددة لتعلق فعل (التذمير) به · و (التذمير) ان يدخل الرجل (المذمر) بكسر الميم المشددة (والمذمر للابل كالقـابلة للناس) — يده في حياء الناقة فيلمس مذمر جنينها الذي في بطنها « اي يلمس قفاه او العظمين اللذين في قفاه او العظم الناتيء خلف اذنه او كاهله » — فيعلم اذ ذاك ان كان جنين الناقة ذكراً او أنثى ·

وقال بعضهم في تفسير (التذمير) هو ان (المذمر) يلمس (المذمّر) اي لحيي الجنين : فان كانا غليظين كان الجنين فحلاً · وان كانا رقيقين كان ناقة » وهذا التفسير زادنا في معاني (المذمر) ان يكون بمعنى (اللحي) وهو عظم الفك ·

فتلخص من هذا جميعه ان (المذمر) في لغة العرب هو عضو من اعضاء الجسم لا يعدو ان يكون (القفا) او (العظمين في القفا) او (العظم خلف الاذن) او (الكاهل) او (اللحي)·

هذه هي المعاني التي يتعاورها لفظ (المذمر) · وعبارة التاج التي نقلها الاصمعي وهي قوله « المذمر الكاهل والعنق وما حوله الى الذفرى » وهي التي استندااليها الاب انستاس — موجزة فسرها الاصمعي نفسه وأوضحها باكمل ايضاح ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في شرح نقائض جرير والفرزدق (جزء ١ ص ٣٥٢) طبعة اوربا عند قول الفرزدق :

(كيف التعذر بعدما ذمّرتم سقباً لمعضلة النتاج نوار)

ما نصه :

« ذمرتم اي مسستم مذمره عند نتاجه . وقال الاصمعي : للمذمر مكانان يمسها المذمر : فاحدهما مابين الاذنين : اذا وجده غليظاً تحت يده علم انه ذكر . واذا رآه يموج تحت يده علم انه أنثى . والمكان الآخر : ان يمس طرف اللحي فان وجده لطيفاً علم انه انثى وان وجده جاسئاً (قاسياً صلباً) علم انه ذكراه » .

فبعد هذه النقول كلها لايصح القول بان (المذمر) له معنى لغوي باعتباره يصح اطلاقه على الصورة النصفية للانسان . وانما (المذمر) مكان خاص او عضو خاص من النصف الاعلى للانسان بل ربما كان اكثر استعماله في الابل كما مر صراحة وهو لعمري لا يعدو المكان الواقع بين الكتف والرأس او هو مغرز الرأس في العنق كما قال الزمخشري في الاساس .

فالمذمر اذاً مما يحسن ان يهديه صديقنا العلامة الكرملي الى علماء التشريح عامة او علماء البيطرة خاصة .

الا ان يكون لدى الاب المحترم علم او قول لعلماء اللغة في تفسير (المذمر) لم نهتد بعد اليه . والسلام عليك وعليه .

« المغربي »

فأجاب العلامة الكرملي بما يلي :

يعلم القوم اني هيأت معجماً من الفرنسية الى العربية كما هيأت دواوين لغوية أخرى وكنت قد وضعت منذ نحو ثلاثين سنة لفظة المذمر لكلمة الافرنجية (buste) وذلك بعد ان وقفت على كل ماجاء من الالفاظ التي تقارب المعنى المطلوب له وضع مايقابله في لغتنا فلم اجد احسن منها ولا يمكن ان نجد في لغتنا ما يؤدي مؤداها والذي زادني تمسكاً بها ما قرأته في المخصص (١ : ٥٢) (قال) ثابت : السامة والساوة والآل : الشخص . وقد يكون الشبح . والسامة والساوة : شخوص غير الآدميين وأنشد في الشبح ... وفي السامة . وفي الساوة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سماوته امهال برد محبر وصهوته من أتحميّ معصب

يعني (بيتاً) تظلل فيه في قائلة في فلاة من الارض انثى . وهذا مايسمى بالفرنسية (Silhouette) كما هو مدون في معجمنا و يسمى ايضاً في لغتنا السواد ، والجماء ، والسدف (والجمع السدوف) ، والشدف (والجمع الشدوف) ، والزول الى غيرها وهي كثيرة . فاذا كانت السماوة هي (buste) فما عسى ان تكون (Silhouette) . ولا جرم ان الصديق المغربي لو علم ان في لغة الفرنسيين لفظة أخرى تقابل كل المقابلة كلمة (السماوة) لما رضي ان تكون هذه الأخيرة مقابلة للبست (buste) .

والذي يزيدنا تمسكاً بالمذمر ماجاء عن ابن مسعود . فقد قال : « انتهيت يوم بدر الى ابي جهل وهو صريع فوضعت رجلي في مذمره فقال : يارويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً . قال : فاجتززت رأسه . قال الاصمعي : المذمر هو الكاهل والعنق وما حوله الى الذفرى انتهى عن التاج . فهل يعقل ان يكون معنى المذمر هنا القفا وحده او العظمين في اصل القفا اوالذفرى ؟ ام مجموع كل ذلك الى الكاهل حتى استطاع ابن مسعود ان يضع عليه رجليه الاثنتين ؟ فليصدقنا القارئ . والفرنسيون لايسمون بست (buste) الا اذا كان الى الكاهل[1] ولهذا أخطأ كل من نقل الى لغتنا هذه اللفظة الى (صورة نصفية) اذ ليست كذلك و يخطئ من ينقلها الى قوله (السماوة) لاننا لوسلمنا انها بمعنى (أعلى شخص الانسان) فهذا يفيدنا نصفه الاعلى وهذا خطأ كالسابق . دع عنك قول من قال ان اللغويين جميعهم اتفقوا على ان السمامة والسماوة بمعنى واحد . وكلتاهما لاتفيد الصورة الواضحة المبينة للانسان ، بل الشخص لاغير . والشخص هوظل الشيء من غير ان يكون واضحاً فلايحسن بنا ان نوجه كلام السلف على غير معانيه كما لا يليق بنا ان نضع للالفاظ الافرنجية الفاظاً لانقابلها كل المقابلة اذا دققنا النظر فيها تدقيق ناقد . اما اذا نظرنا اليها نظراً مجملاً بلاروية فهذا امر آخر لست من الذين يذهبون الى الأخذ به . وبعد هذا القول الواضح الجلي ليتبع الانسان مايهوى فهو حر في ما يتبع .

«الكرملي»

* * *

(١) الكاهل بالفرنسية (Le haut des épaules) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أجابه الاستاذ المغربي بما نصه :

حضرة الفاضل محرر مجلة المعهد الطبي بدمشق

قرأت في الجزء الرابع الصادر في هذه السنة من مجلتكم رد الصديق العلامة الكرملي على ما كتبته بشأن تفضيل كلمة (سماوة) على كلمة (مذمّر) كي تقوم مقام كلمة (buste) الافرنسية . وقد أعرب في رده عن الثبات في رأيه وتفضيل (المذمر) محتجاً بان صاحب (المخصص) فسّر (السماوة) بالشخص والشبح . ثم رأى ان قول صاحب المخصص لا ينهض حجة أزاء التصريحين اللذين نقلتهما عن (القالي) و (الزبيدي) : فقد صرّح الاول بان السماوة (أعلى شخص الانسان) وصرح الثاني بانها (شخصه العالي) هذا من جهة ومن جهة أخرى فان احداً من علماء اللغة لم يقل في تفسير (المذمر) سوى انه اسم عضو في أعلى شخص الانسان : كاهله او قفاه اوعظام في قفاه او هو (كما قال الزمخشري في الاساس) مغرز الرأس في العنق . ومعنى كلمة (buste) — كما في دائرة المعارف الافرنسية — مجموع الرأس والعنق وأعلى الصدر . وهذا المجموع أحرى ان نطلق عليه كلمة (السماوة) الدالة على أعلى شخص الانسان (رأسه وعنقه وصدره) — من ان نطلق عليه كلمة (المذمر) التي معناها عضو واحد في أعلى شخص الانسان : إما كاهله وإما عنقه من جهة قفاه وإما حول عنقه وهو ماسماه الزمخشري (مغرز الرأس في العنق) . وكأن علامتنا الكرملي آنس في دليله النقلي ضعفاً فجنح الى تقويته بدليل آخر عقلي ذلك انه روي ما قاله ابن مسعود وهو « انتهيت يوم وقعة بدر الى ابي جهل وهو صريع فوضعت رجلي في مذمره فقال : يا رويعي لقد ارتقيت مرتقىً صعباً » .

ثم قال الأب « فهل يعقل ان يكون المذمر هنا القفا وحده او عظمي القفا ام مجموع كل ذلك الى الكاهل حتى استطاع ابن مسعود ان يضع عليه رجليه الاثنتين ؟ فليصدقنا القاريء » انتهى قول الاب الفاضل .

واذا كان حضرة الصديق يحيل قضية النزاع بيننا على القاريء فاني مازلت أحيلها عليه نفسه : واول ما ألفت نظره اليه هو قوله في عبارته « رجليه الاثنتين » فان كلمة الاثنتين زادها الأب على عبارة ابن مسعود : فان ابن مسعود انما قال : (وضعت رجلي في مذمّره) . و(رجلي) بتخفيف الياء مفرد ولبس هو مثنى حتى تشدّد ياؤه . فابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مسعود وضع على كاهل الصريع رجلاً واحدةً وكزه بهـا وكزاً . ولم يضع كلتا رجليه قافزاً بهما على جثته قفزاً .

وقد فكرت مليًا لأعرف السبب الذي حمل صديقنـا الكرملي على قراءة (رجلي) بالتثنية لا بالافراد فانتبهت اخيراً الى قول ابن مسعود في تتمة عبارته السابقة على لسان الصريع يخاطب ابن مسعود (لقد ارتقيت مرتقىً صعباً) فالارتقاء على صدره يستدعي بالضرورة ان يكون قد وضع ابن مسعود الرجلين كلتيهما على صدره . فوجمت لهذه المفاجأة لكنني لم أشكّ قط في ان ابن مسعود انما وضع رجلاً واحدة على القتيل او وكزه بها وكزاً . لكن كيف قال له ابوجهل (ارتقيت) ؟ راجعت كتب المغازي واذا هي تقول « ثم ان ابن مسعود وطئ على عنق ابي جهل وعلا فوق صدره يريد حزّ رأسه فقال له لقد ارتقيت الخ » فالارتقاء انما جاء نتيجة لاعتلائه على صدره لا لوضع رجله في مذمره . وتزيد على ذلك ما رواه علماء الحـديث من ان ابن مسعود رضي الله عنه كان صغير الجثة بحيث يكاد الجلوس يوارونه من قصره . وضحك الصحابة يوماً من صغر رجله فقال لهم النبي (ص) ما تضحكون ؟ لرجلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد .

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net